القصص

صور من هوميروس

١٧ - حروب طروادة

طوفان . . .

للأستاذ دريني خشبة

تفزّع الطرواديون مما أحدثه أخيل ؛ وزادهم خبالا هذا الظلام الذى راحوا يضربون فيه على غير هدى ، والذى كانت تمد حيرا فى دياجيره فيتدجى فوق الساحة الصاخبة ، ويمكن لابن بليوس من أعدائه فيضرب فى أقفيتهم ، ويهوى على أعناقهم ، ويمسح بسُوقهم ويضرب كل بنان

وضاق الجسر بجموع الفارين ، فاضطروا إلى خوض عباب النهر الزاخر ، وخَوّضوا فيه بخيلهم ورجلهم .. وتطامن لهم سكندر [1] فسكنت أواذيه ، وفامت جراجره ، وانكشف قاعه عن حصباء كالدر النضيد ... ...

وتبعهم أخيل فخاض مياه النهر ، ثم أعمل سيفه ورمحه ، فكانت شآبيب الماء تختلط وشآبيب الدماء ، وأنين القتلى يمتزج وأصداء المنهزمين ، والجاجم المنثرة تصطدم بالأشلاء الطافية هنا وهناك ، والسماء الكاسفة ترسل عقبانها تتغذى بالجزر المتساقط فى رحب المعركة ، من بطون مبقورة ، وهام مُفَلّقة ، ولحم مقروم ... ...

واستطاع أخيل أن يحصر اثني عشر شاباً فيأخذ عليهم سبيل الفرار ، وفضل أن يرسلهم الى سفائنه أسرى حتى لا يثخن فى الأرض ، وحتى يشهدوا ثمة ذلك القتيل السجى ، تسقيه ذيتيس الحزينة خمرا ؛ فكبل أرجلهم وأيديهم من خلاف ، ووكل بهم جماعة من رجاله فقادوهم الى الأسطول ، بعد ما وقفوا هنيهة أمام جثة پتروكلوس ، يؤدون لها تحية المعركة التى دارت رحاها عليهم ، واصطلوا من بعده بنارها

وطفق أخيل يأخذ الجموع من كل حدب ، ويلقاهم فى كل صوب ، حتى كان وجهاً لوجه أمام ليكاون بن پريام ، الذى كانت له معه قصة قديمة مشجية ، زمان إذ أسر أخيل واستاق قطعانه ، وحبسه فى جزيرة لمنوس ، حتى افتداه أهله من الحرس الوكل به ، ورشوهم بمائة ثور جسد ذى خوار ليطلقوا سراحه !

مسكين ليكاون بن پريام ! لقد فر من جزيرة لمنوس منذ اثنى عشر يوماً فقط ، وسعى الى هذه الساحة النكراء ليلقى فوق أديمها حتفه ، كما لقيه أخوه پوليدور من قبل

ودهش أخيل إذ رأى ابن پريام يذرع الميدان أمامه ، وعجب من أفلته من منفاه السحيق فى عرض البحر ... ثم أيقن أن فى الأمر مكيدة ... فانقض على الفتى المسكين انقضاض الباشق ، وأرسل اليه طعنة تجلاء كادت تخترم أجله ، لولا هذه اللفتة الرشيقة التى انقذتها الشاب فأنقذت حياته ... ولو إلى حين !

وفتح الفتى عينيه فنظر إلى شبح الموت تنتشر سماديره من ظباة أخيل ، وأحس كأن هذا الشبح يلاحقه فى كل مكان فيقبض على عنقه ويضغطه ، ثم ينشب فيه أظفاره فيسرى السم فى هيكله الحاوى فلا يكاد يبين !

وحاول أن ينجو من روع هذا الموقف ... ولكنه كان أبطأ من حتفه الذى يسابقه ، فلما أيقن أن لا سبيل إلى الفرار ، ألقى سلاحه وتقدم إلى أخيل فقبل ثرى الساحة عند قدميه ، ثم ان ذراعيه المرتجفتين حول ساقى زعيم الميرميدون ، وطفق يضرع اليه ألا يقتله ... « فان لى أماً محزونة ما تفتأ ترسل دموعها على أخى پوليدور الذى قتلته منذ لحظة ، والذى أذويت

(١) رب النهر المحيط بطروادة

شبابه النضر ولم تبق على عوده الفينان ، ولم ترحم فيه قلوباً تعطف عليه ، وأباً شيخاً أصبته في ولده بقاصمة الظهر ... ... أرسلني يا أخيل تباركك الآلهة ، وترعاك أرباب الأواب ، ولا تفجع فيّ ذيّنك القلبين الحنيين علي ، الحفيين بي ... »

وكان الفتى يغسل توسلاته بعبرات شبابه ، ويصهرها بآهات صباه ... ولكن أخيل الذي يضطرم حزناً على پتروكلوس ، لم تأخذه رحمة في ابن پريام المسكين ، وأخي هكتور الذميم ... ! بل استل جرازه البتار وأهوى به على عنق الفتى ... فطاح الرأس الطراودي الكريم !!

وكان البطل الطروادي العظيم ، ستراتيوس بن پلجون ، رب البركات ، الذي يدين له بحياته أكسيوس رب النهر الشرقي الكبير ... كان ستراتيوس على مقربة من أخيل وهو يصرع ليكاون بن پريام ، فجزع — شهدت الآلهة — على ابن الملك ، وأحزنه ألا يرق أخيل لتوسلاته ؛ ووقر في نفسه أن يقتص له من هذا الشيطان ، ويخلص الطرواديين منه ، فيطير ذكره في الخافقين ويقترن اسمه بعالم يقترن به اسم أحد في العالمين . فيمم شطر أخيل والكبرياء تنفخ أوداجه ، والغرور يشيع في أعطافه ، ثم هز رمحه هزة المتحدي الخصيم ...

وزجره أخيل فلم يزدجر ، فانقض عليه انقضاض الحتف ، وأخذه أخذ المنية ، لا تجدي فيها إذا أنشبت أظفارها الندم ، ولا تدفعها الرُّقى ، ولا تُفلت من أقصدته ولو كان في برج مشيد !

وأرسل أخيل رمحه كالصاعقة ، لو اتى الصخر لفده ، أو الجبل لنفذ فيه ، ولكن ستراتيوس كان أرشق من أن يلاقي الطعنة فانزلق انزلاقة خفيفة أذهبت الرمح في الهواء ، ثم هوى إلى الأرض فغاص فيها ؛ ومن ثمة راح يداعب أخيل حتى أحنقه وحتى بلغ الغيظ منه ، فامتشق بن پليوس سيفه وصرخ صرخة رجفت لها السماء ، وانصدع من هولها جانب الجبل ، وهجم على ستراتيوس هجمة رابية فلم يفلته ، بل أرسل السيف في بطنه تخرج سنانه من ظهره ، وبرزت الأمعاء فاجتمعت حولها أسماك الماء ، تنوشها وتقتذي بها ...

وريع سكمندر ، رب النهر العظيم ، إذ نظر فرأى ابن ضيفه المقدام ، يلفظ أنفاسه ، ويُساقط نفسه ، فدارت الأرض به ، وضاقت عليه بما رحبت ، وتجهم من تَوَه لأخيل ، وود لو انشق فابتلع ابن پليوس آخر الدهر ، أو لو يأخذ هو سيفاً فيقد به أضلاعه ، ويطيح به رأسه ، ويريح العالم من بأسه . لكنه آثر ، كأنّه له وقاره ، أن ينذر أخيل ويأخذه بالحيلة ، تخاطبه من القرار ، قال : « أخيل ! يا ابن پليوس العظيم ! أما لا يهمني أن تصطلم الطرواديين جميعاً ، ما دام زيوس قد سلطك عليهم ورماهم بك . . . أنا لا يهمني من ذلك شيء ... ولكن الذي يحزنني ويضيق به صدري هذه الجثث الكثيرة التي يعج بها عبابي ، وينتشر منها الخبث في أرجائي ... لقد أتنتن يا أخيل ، وخالطت عذوبة مائي ، ولم يعد لي بها طاقة ، ولا عليها جلد ... وهي إلى ذلك كادت تقف تياري ، وتشل حركتي ... فهلم فارفعها عني ، وقف التصريع والتقتيل حتى تطهر مجراي من أدرانها وحتى ألفظ أنا إلى البحر ديدانها ... »

وتبسم أخيل قائلا : « أما أن أقف هذه الحرب فلا سبيل إلى ذلك حتى آخذ بثأر پتروكلوس ، وحتى أدك طروادة على رأس هكتور ، فاما أن ألقاه فأقتله وإما إن يلقاني فيقتلني ؛ وأما أن أطهر مجراك من هذه الجثث الطافية فوقه فليس لي الآن بذلك يدان ... أو تضع هذه الحرب أوزارها ... »

وحنق سكمندر العظيم ، وانطلق إلى أپوللو يكلمه في أمر أخيل ، ولم يدعه أپوللو حتى أغراه بابن پليوس أعدى أعدائه ، وأشد شانئيه ، وحتى أثاره عليه ، وهاج فيه كل حقد دفين . وعاد سكمندر فأشار إلى الماء فعلا وفاض ، وإلى الموج فتلاطم وجرجر ، وإلى الأواذي فدوّمت وهوّمت ، ولاحقت أخيل من ههنا ومن ههنا ؛ وفطن ابن پليوس إلى الخطر الذي أوشك أن يحيق به فهرع يحاول الفرار ... ولات حين فرار ... فقد أزبد الموج ، وانساب العباب ، وتشققت الأرض عيوناً ومسايل ، وعَمُقت اللجة ، وبعد ما بين سطحها وبين قدمي أخيل ، أو ما بينه وبين قرارها ، فأطلق المسكين ذراعيه يسبح في أغوارها ، ويتعلق بالجثث الطافية فوقها

واشتد الخطب ، وعظم الكرب ، وصرخ أخيل يستنجد أربابه ، فما كادت حيرا تسمعه حتى فزعت اليه ، وأمرت فلكان ابنها فانطلق يجفف الأمواه بنيرانه ، ويرسل على الطوفان بدخانه ،

ويستعين فى كل ذلك بآلهة الريح التى هرعت اليه من كل صوب تساعده ، وكان زفيروس الكريم يهب على النهر الجى سجسجاً ، ويذهب منه بكل مزنة مثقلة ، ودعة محملة ، فلم يمض غير بعيد حتى صفا الجو ، وغيض الماء ، وبرز أخيل يحمل عدته ، فطربت الآلهة لنجاته ، وانقض قلكان على سكمندر يحاول أن يثأر لأخيل منه ... ! ولكن بعد أن عاهد حيرا - إذا هى صدت عنه ولدها قلكان - أن يحصر الطرواديين بموجه ، فلا يمكنهم من الدخول إلى مدينتهم ، ويجعلهم بذلك هدفاً لأخيل يصنع بهم ما يشاء ! !

* * *

وتثار الخصومة بين الآلهة لموقف قلكان من سكمندر ... ويغيظ مارس من ميزفا أنها تؤيد قلكان وتحرضه على رب النهر المسكين الذى أفزعته النيران تأخذه من كل حدب ... فتقدم إليها وطفق يقرعها وتقرعه ، ويرميها بالمثالب وترميه بها ... ثم تناول رمحه العظيم واستجمع كل قوته ، وأرسله يود لو يقضى به على ربة الحكمة الحازمة ، ولكن ، ويل لك يا مارس ! لقد ارتد الرمح فلم يستطع إلى دفع ميزفا من سبيل ... وانحنت الآلهة المنيظة فأخذت حجراً من أكبر حجارة الجبل وقذفت به مارس فدكت عنقه ، وقصمت ظهره ، وتركته على السفح الشاحب لقى من ألقاء هذه الحرب !

وظل مارس ممدداً على السفح يخور ويئن ، ويتلوى بجثته العظيمة [1] التى كانت ترتطم بالجبل فتميد به ، وتهزه هزاً ظاهراً

وأقبلت ڤينوس فوقفت تواسى مارس وتهون عليه ما فعلت به ميزفا ، ثم أنهضته وانصرفت به ، ولكن حيرا أرسلت فى إثرهما ميزفا ، ترى ما يكون من أمرهما ... بعد كل تلك الفضائح التى لوثت شرفهما ، وجعلت اسمهما مضغة فى جميع الأفواه ...

وأقبلت ڤينوس على مارس تشفى حرقة فى قلبه ، وتنيله من قلاتها ما تنسيه به

(١) جاء فى الميثولوجيا أن طول مارس سبعمائة قدم

الاشتراك المجانى فى الرسالة

لدخولها فى سنتها الرابعة

(١) ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ منه سيكون الاشتراك فى الرسالة على النحو الآتى :

ص

٥٠ فى مصر والسودان

٤٠ لطلاب العلم ولرجال التعليم الالزامى

٦٠ فى البلاد العربية بالبريد العادى

٥٠ لطلاب العلم فى البلاد العربية بالبريد العادى

(٢) إذا دُفع الاشتراك المخفض فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ أُهدى إلى المشترك مجموعة من السنة الثانية أو مجموعة من السنة الثالثة ؛ وثمن كل منهما ستون قرشاً مصرياً . وأجرة البريد على المشترك ، وقدرها خمسة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٣) إذا دُفع الاشتراك الكامل فى أثناء شهر يناير سنة ١٩٣٦ وقدره ستون قرشاً فى مصر ، وثمانون فى البلاد العربية ، أُهدى إلى المشترك نسخة من كتاب (ضحى الاسلام) أو (فجر الاسلام) للأستاذ أحمد أمين ، أو من كتاب (وحى القلم) للأستاذ الرافعى ، أو من كتاب (تاريخ الأدب العربى) للأستاذ الزيات ؛ أو كتابان يختاران من الكتب الآتية : آلام ڤرتر ، رفائيل ، فى أصول الأدب ، للاستاذ الزيات ؛ قصة المكروب ، مرجريت ، للدكتور أحمد زكى .

وأجرة البريد على المشترك وقدرها عشرة قروش فى الداخل ، وعشرون قرشاً فى الخارج

(٤) يقبل الاشتراك الكامل والمخفض أقساطاً من طلاب العلم ورجال التعليم الالزامى ، ولا يقل القسط عن عشرة قروش

بعض الذى لقيه من أذى ... ولكن ميزقا أهابت بهما ... ! وطفقت تنصح لهما ألا يدعا إليوم فلا ينصرانها على شعبهما المختار ... هيلاس العزيزة ! ولكن ... ! لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ! فلقد أعطت ڤينوس باريس موثقاً ، وان ڤينوس لصادقة ... ! !

* * *

وانطلق نپتيون يعظ أپوللو ، ويصرفه هو الآخر عن مؤازرة الطرواديين ، فذكر له أيام أن نفاهما زيوس إلى أقصى الأرض ، فأتيا إلى طروادة ، وعملا فى خدمة أميدون الجبار ، الذى لم يتورع أن يرسل أپوللو فيرعى له قطعانه ، ويسمن نعمه وشاءه ، كأن لم يكن أپوللو ابن إلـه عظيم ، وكأن لم يكن هو نفسه إلـهاً عظيما ! ! ... « أتذكر هذه الأيام يا أخى أپوللو ! ! ... أتذكر أيام أن كان هذا العاتية العنيد يسومنا الذل ، ويقهرنا أرهق القهر ، وينزل بنا أشد ألوان الخسف ، متذرعاً بغضب سيد الأولب علينا ، لا تأخذه فينا رحمة ، ولا يهمه أن نبرم وتتسخط ما دام — فيما كان يزعم — يؤدى ما أمره به أبوك زيوس ! !

فيم هذه المناصرة كلها لطروادة يا أپوللو ؟ ... ماذا تذكر من حسنات للكها اللعين أوميدون ؟ ! أنسيت يوم أسخطناه بالتراخى قليلاً فى عملنا ، فأمر بنا فقطعت آذاننا وشد وثاقنا ، وأصبحنا ضحكة كل راء ؟ ! ... لا لا يا أپوللو ... أنا لا أرتضى لك أن تكون غبياً إلى هذا الحد ... »

وعملت فيه كلمات العم نپتيون عملها ، فعاهده ألا يخوض غمار هذه الحرب كرة أخرى ، وقاسمه ألا يسدد فيها بعد اليوم سهما ... ولو عيرته أخته ديانا ألف تعيير ! ! !

وماذا لو عيرته ديانا ، ورمته بالجبن أمام نپتيون ؟ ! ها هى ذى حيرا تسمع الى ربة القمر ، فتقذفها أشنع القذف وأمره[1] ، ثم تهجم عليها فتكبلها ، وتنثر كنانة سهامها ، وتمضى بعد ذلك لشأنها ... وتأتى لاتونا أم ديانا الباكية — فتواسيها وتذهب واياها الى زيوس ... المتربع فوق سدة الأولب ، فتشكو اليه ما لحق ابنتها من زوجه ... ويغضى الالـه ... لأنه ليس له على حيرا يدان ... ... !

ويتم الظفر لأخيل وجنده بعد إذ ينسحب أپوللو من المعركة ، فيأخذ الطرواديين أخذ عزيز مقتدر ؛ ويقف پريام الملك فى برج شاهق يطلع على الساحة ، ويشهد هزائم جنده ، فتدمع عيناه ... ويأمر بالبوابة الكبرى فتفتح ، ويهرع الجنود ناحيتها فراراً من أخيل وشياطين أخيل ، ولكن أخيل وشياطين أخيل تشطر الجنود الفارين شطرين ، بل يستطيع أخيل وكوكبة قوية من الميرميدون أن ينفذوا إلى البوابة الكبرى ، ويدخلوا طروادة فاتحين ... ... ! !

وهناك ! يثبت له أچينور البطل الطروادى الحلاحل ، ويأخذ مع أخيل فى ملاحاة عنيفة ، ثم يتقارعان برهة ، ويصاول أحدهما الآخر ...

ويكون ... أپوللو ... ! ! الى جانب أچينور يحضه ويحرضه ، ويثبت قدميه ... ناسياً مواثيقه التى قطعها على نفسه أمام نپتيون ... ...

ويهم أخيل أن يبطش بفتى طروادة

لولا أن يعز على أپوللو أن يلحق أچينور بصاحبه استرابيوس من قبل ، وبعشرات الأبطال من مثل سترابيوس ، فيتقدم الى أچينور يحميه ، ويرسل عليه سحابة بيضاء فيحمله فيها ..... مضللا أخيل عن خصمه ... ومبعده خارج البوابة التى يقفلها الطرواديون من دونه ... ...

(لها بقية)

دريني خشبة

(١) لم يتورع هوميروس أن يقاذف الآلهة بأخس ألوان القحش فأثار بين حيرا وديانا سباباً ليس مثله سباب

ظهر حديثاً :

فى أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

بقلم

أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب

وثمنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد